

مدحة تاريخية عن "اسدود"

سدود مدينة عريقة تغطي الرمال آثارها القديمة، لهذا كانت معلوماتنا عن نشأتها الأولى ناقصة ، وقلما ذكرت في آثار الدول الكبرى القديمة وتدل البقايا الفخارية التي وجدت فيها أنها كانت مزدهرة في عهود الكنعانيين والاسرائيليين واليونانيين والرومان .

كانت سدود في الأصل مدينة كنعانية سكنها العنانيون - فرع من الكنعانيين الساميين - لم يتمكن العبرانيون القدماء من الاستيلاء عليها لكن استولى عليها الفلسطينيون القادمون من كريت في القرن الثاني عشر ق . م وأصبحت إحدى مدنهم الخمس ، وكان موقعها مكان القرية العربية على بعد ٣ أميال عن شاطئ البحر وكان لها ميناء - اسدود يام - أصبح مدينة مستقلة في العصور البيزنطية والاسلامية لكنها ظلت منفذا لاسدود الأصلية .

اكتسبت سدود أهميتها من موقعها على الطريق التجاري العالمي بين مصر والشام لكنها لم تبلغ الشأو الذي بلغته غزة كمركز تجاري عالمي أو عسقلان كمركز حضاري ثقافي .

جاء الفلسطينيون القدماء من جزر بحر ايجه اليونانية واستقروا على ساحل هذه البلاد التي اكتسبت فيما بعد اسمهم ، وكان ذلك في القرن الثاني عشر ق . م وقد ورد في أحد النقوش المصرية من عهد الملك رمسيس الثالث (١١٩٥ - ١١٦٤ ق . م) أن هذا الملك طرد جموع البليست

فائدة اة
من الاسر
كما بقيه
على المو
بقايا اة
شيمش ، و
وروا بطه
على طرية
كانت
القبائل ا
حتى جبال
على مدن
مثل جبع
أخذوا ت
ويدل هذ
معبد الا
بيت دجن
لم يتمس
اندمجوا
ولغتهم
اعتادوا
آثارهم ا
تنفرد ب

من السواحل المصرية ، ولما تقهقرت أمام جحافلها استقرت على سواحل هذه البلاد بين الكرمل وغزة ، ومن المحتمل أنهم استقروا أولا في غزة وعسقلان بموافقة المصريين الذين كانوا يسيطرون على هاتين المدينتين الكنعانيتين ويتخذون منهما قاعدة للنفوذ المصري في بلاد الشام ، وربما اتخذ المصريون من هؤلاء الفلسطينيين أتباعا يعتمدون عليهم في مواجهة الكنعانيين الذين كانوا كثيرى التمرد ولم يلبثوا أن أصبحوا عنصرا بشريا هاما في تاريخ هذه البلاد واستقروا في ثلاث مدن أخرى : سدود ، جات عاقر ، ومن مدنها الخمس كانوا يهاجمون قبائل يهودا ودان وبنيامين وافرأيم العبرية ، ويبدو مما ورد في التوراة أن منازعاتهم هذه كانت في عصر القضاة .

كان هؤلاء الفلسطينيون متفوقين على الاسرائيليين حضاريا - تقنيا - وتنظيميا ، فهم أول من أدخل الحديد الصلب الى هذه البلاد واستعملوه في السلاح والمحراث ويبدو مظهرهم في النقوش الفرعونية كأناس متمدنين يلبسون طواقم محلاة بالريش ويحملون السلاح وملاحمهم تدل على أصلهم الأوربي الايحي ، وقد احتكر الفلسطينيون مدة طويلة صناعة الحديد مما جعلهم متفوقين على خصومهم الذين كانوا يستعملون البرنز ، واستمر ذلك حتى عهد الملك شاول ، وتذكر التوراة في ذلك العهد أن المدن العبرية كانت خالية من الحدادين الذين عثروا في المدن الفلسطينية استفاد الفلسطينيون من احتكار الحديد فائدة مزدوجة.

جحافل استقرت
ومن المحتمل
بقية المصريين
بن الكنعانيين
بلاد الشام ، وربما
اعا يعتمدون
الكثيري التمرد
ما في تاريخ
سدود ، جات
قبائل يهودا
مما ورد في
القضاة .

لإسرائيليين
من أدخل الحديد
المحراث ويبدو
بين يلبسون
م تدل على أصلهم
مدة طويلة
ومهم الذين
عهد الملك
مدن العبرية
المدن الفلسطينية
فائدة مزدوجة.

فائدة اقتصادية وأخرى عسكرية ، إذ كانوا يتقاضون
من الإسرائيليين أحوارا عالية لإصلاح أدواتهم الزراعية
كما بقيت جيوشهم متفوقة على جيوش أعدائهم ومسيطرة
على المواقع الهامة في البلاد ، وقد اكتشف علماء الآثار
بقايا أفران لصهر الحديد في تل حمة وتل قصيلة وبيت
شيمش ، ومما دعم موقف الفلسطينيين اتحاد كلمتهم
وروابطهم التجارية والسياسية مع مصر ، وموقع بلادهم
على طريق التجارة العالمية بين أفريقيا وآسيا .

كانت سدود من مراكزهم المتقدمة التي تكوّن خطرا على
القبائل العبرية في وقت تمكن فيه الفلسطينيون من التوغل
حتى جبال السامرة في الداخل والكرمل على الساحل وسيطروا
على مدن عبرية كثيرة كانت لهم فيها حاميات عسكرية
مثل جبعات بنيامين وبيتثيل وشيلوح ، ومن هذه المدينة
أخذوا تابوت العهد ووضهوه في هيكل الههم داجون في سدود
ويدل هذا على أنّ سدود كانت مركزا دينيا هاما فيها
معبد الإله الكنعاني المشهور داجون - واليه تنتسب قرية
بيت دجن شرقي يافا ، كما يدلنا هذا على أنّ الفلسطينيين
لم يتمسكوا بمعبوداتهم ومعتقداتهم الخاصة وانمسا
اندمجوا بالكنعانيين واقتبسوا معتقداتهم وعاداتهم
ولغتهم ، ولاعجب فقد كانوا شعبا كثير الهجرة والترحال
اعتادوا على التكيف حسب كل بيئة يحتلون بها ، حتى أنّ
آثارهم الفخارية كانت منتقاة من مصادر مختلفة فلم
تنفرد بخصائص مميزة ، فهي في شكلها ولونها وصلبها

هؤلاء وتلا
هذه المنط
ونشب بعد
أحوال سد
والأعيب ال
أنبياء ال
حساب يهو

وفي ع
رئيسية فر
والتلال الم
أن كثيرا
أدخلن لغز
من عمون و
وكان " نه

ثم اشته
السدوديون
نحميا من
بعد الأسر

ثم انت
- اليوناني
الفارسية ،
مركزا للعب
قامت الدول

وزخرفتها خليط من خصائص كريتية ومصرية وقبرصية
وكنعانية مما يدل على طول عهدهم بالتجوال والاختلاط
بالحضارات والشعوب المختلفة .

وفي العهد الملكي الذي بدأ بالملك شاول تضاءل الخطر
الفلسطيني ولكن ظلت سدود مدينة فلسطينية هامة لم يجرؤ
العبرانيون على الاستيلاء عليها وان توسعوا في المناطق
المجاورة لها .

وفي أواخر القرن الثامن (ق.م) تذكر الآثار الآشورية
اسم سدود فقد جاء في هذه الآثار أن ملك سدود " عزوري"
امتنع عن دفع جزية للملك الآشوري سرجون فأمر هذا الملك
بإقصائه عن المدينة ووقع أخيه " احميتو " مكانه ، ولم
يرضخ الأهالي للواقع الحديد وانما شاروا بقيادة زعيمهم
" يمانى " الذي اتصل بمصر لعلها تنصره ، لكن الملك
الآشوري سارم للانتقام واستولى على المدينة ونفى الكثير
من سكانها وأسكن مكانهم - كما كانت العادة في تلك
العصور - جاليات من بلاد بعيدة ، وكانت مصر ضعيفة في
ذلك العهد لم تقدم للشائر " يمانى " أية مساعدة سوى
السماح له باللجوء اليها وبهذا أصبحت سدود تابعة الدولة
الآشورية وغدا سكانها خليطا من أماكن مختلفة .

وحافظت سدود رغم ذلك على أهميتها اذ كانت تفصل
المناطق الفلسطينية عن المناطق العبرية ، ولما تولى الملك
سنحاريب عرش اشور وسع منطقة سدود على حساب مملكة
يهودا واستمرت سدود على ولائها للآشوريين الى أن ضعف

بة وقبرصية
حوال والاخترلاط

ل تضا ١٤، الخطر
ية هامة لم يجرؤ
عوا في المناطق

الآثار الآشورية
ك سدود " عزوري"
، فأمر هذا الملك
و " مكانه ، ولم
بقيادة زعيمهم
، لكن الملك
ينة ونفى الكثير
عادة في تلك
، مصر ضعيفة في
ة مساعدة سوى
ود تابعة الدولة
مختلفة .

اذ كانت تفصل
ولما تولى الملك
حساب مملكة
بن الى أن ضعف

هؤلاء وتلاشى نفوذهم خارج بلادهم واذ ذاك طمعت مصر في
هذه المنطقة وضمت سدود اليها في عهد ملكها " بسماطيك "
ونشب بعد ذلك نزاع بين مصر وبابل الكلدانية ، فتدهورت
أحوال سدود وعم فيها الخراب لقربها من ميادين الحرب
والأعياب السياسة ، وبوجه عام بقيت تابعة لبابل وكان
أنبياء العبريين يتنبأون بدمارها لكونها توسعت على
حساب يهودا .

وفي عهد الفرس استعادت سدود مكانتها وغدت مدينة
رئيسية في الولاية الفارسية التي ضمت مرتفعات يهودا
والتلال المحاذية للساحل وجاء في سفر نحميا بالتوراة
أن كثيرا من اليهود اتخذوا لأنفسهم زوجات سدوديات
أدخلن لغتهن في المحيط العبري كما اتخذ اليهود زوجات
من عمون وموآب في شرق الأردن مما أثر على لغة أبنائهم
وكان " نحميا " ينتقد هذه الزيجات .

ثم اشتد التوتر بين سكان سدود وسكان يهودا وتآمر
السدوديون مع الأعراب والعمونيين لمحاربة القدس ومنع
نحميا من تحصين هذه المدينة وكان اليهود قد عادوا اليها
بعد الأسر البابلي وأخذوا في تحصينها .

ثم انتقلت السيادة في العالم القديم الى الهلينييين
- اليونانيين - بعد أن أخضع اسكندر المقدوني الامبراطورية
الفارسية ، وفي عهدهم حافظت سدود على أهميتها وكانت
مركزا للعبادة الوثنية حيث معبد الاله داجون ، ولما
قامت الدولة المكابية اليهودية منفصلة عن الحكم السلوقي

الهليني تقدم ملكها جوناشان - أخ يهود المكابي - وأحرق المدينة ودمر هيكلها وأعاد بعض سكانها لكن هرمانوس استولى عليها ثانية وأقام فيها حكما يهوديا .

ولما زحف الرومان بقيادة " بومبي " قضاوا على الدولة المكابية وجعلوا من سدود مدينة حرة فازدهرت وأعيد عمرانها على يد " غابينوس " الروماني ، وامتدت الأراضي التابعة لها حتى بينه واللد وبيت حبرين وعسقلان ، وكان سكانها خليطا كما ذكرنا وأضيفت لهم حالات جديدة من المناطق المجاورة ، وحكمها الملك هيرودس ثم قدمها هدية الى زوجة الامبراطور الروماني اغسطس .

وظلت سدود مدينة عامرة في عهد الاسلام ، وكان حفرافيو العرب يميزون بينها وبين مينائها البحري - ماحوز سدود - وتقلب الزمن على هذه المدينة العريقة فمرت بها فترات من الازدهار وأخرى من التدهور ولاعجب فقد تقلب عليها الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون واليهود والآشوريون والبابليون والفرس والاعريق والمكابيون والروم والبيزنطيون والعرب والمليبيون ، وظلت مع كل ما مرّ بها من تقلبات مدينة فلسطينية تدهورت أحوالها في العهد العثماني فصارت قرية ذات أهمية استراتيجية ، وقد ذكرنا في الجزء الخامس كيف توقف عندها الزحف المصري عام ١٩٢٨ م .

* * *

تسم
تقع في
النقب جنر
بالمناطق
عين جدي
ايلات الح
وبغزة ور
في الواقع
وليس
الوسطى وال
على المطر
وهذه الكه
غير ثابت
سهل ب
وفي أودي
وقد وقع
للسكنى للأ
١ - وجود
٢ - مروج
٣ - الأود
٤ - تلاقي
وسين